العدد الثامن والعشرون

مجلة كلية الدعوة الإسلامية

مَجلّةٌ إسْلامِيَّةٌ – ثَقافِيَّةٌ – جامِعَةٌ – مُحْكَمَةٌ

تَصْدُرُ سَنَوِيًّا عَنْ كلية الدعوة الإسلامية

العدد
28
1435هـ - 2014م

1435 هجري الموافق 2014 ميلادي

- مَسْلَكُ المالِكِيَّةِ فِي الاحْتِجاجِ بالأحادِيثِ المتعارِضَةِ
- هَلْ يَجُوزُ إخْراجُ زَكاةِ الفِطْرِ نَقْدًا؟
- اللُّغَةُ وصِياغَةُ الدُّسْتُورِ (دراسة في لِسانِيّاتِ النَّصِّ الدستوري)
- أخْطاءُ الحِرَفِيِّينَ في شَرْحِ مُلْحَةِ العَرَبِ
- حِمايَةُ أمْوالِ الوَقْفِ في القانُونِ الليبيِّ
- العَلّامَةُ المُفْتِي عَبْدُ الرَّحْمنِ القَلْهُودُ

مجلة كلية الدعوة الإسلامية

BULLETIN OF THE FACULTY OF The Islamic Call

Twenty eighth year

د. محمد عثمان إمام*

الأول: كلمة سبقت الكلمات في مدلولها، وكذلك الترتيبات، بها تبدأ الأشياء ولا يبدأ قبلها فهي البداية وليست النهاية، فالله أول في كل شيء قبل أن يكون هناك شيء.

فالله: هو الأول؛ لأنه تفرد بالأولية وقد شاع استعمال هذا اللفظ بعدما كان اسما للبارئ ﷻ.

والأول في اللغة: هو الواحد الذي لا ثاني له، وعليه استعمال المصنفين في قولهم: وله شروط.

والأول: لا يراد به السابق الذي يترتب عليه شيء بعده، بل المراد الواحد، وقول القائل: أول ولد تلده الأمة حرّ، محمول على الواحد - أيضاً - حتى يتعلق الحكم بالولد الذي تلده سواء ولدت غيره أم لا، وإذا تقرر أن

(*) كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس - ليبيا.

الأول بمعنى الواحد، فالمؤنثة هي «الأُولى» بمعنى الواحدة، وتجمع الأولى على الأَوليَات، والأُوَل، والأوائل، وإذا استعمل «أوّل» استعمال أفعل التفضيل، فانتصب عنه الحال والتمييز[1].

وقد ذكر لفظ «أول» في أكثر من موضع من القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ﴾[2] أي هو الأول الأزلي وأنه مستمر من قَبْلِ وجود كل محدث ومن بعد فنائه؛ إذِ الله هو الباقي بعد فناء ما في السموات والأرض، وذلك يظهر من دلالة الآثار على المؤثِّر. فلفظ «أول»: يدل على الحالة التي كان فيها السبق، وقد يستدل على تلك الحالة من سياق الكلام، فوصف الأول لا يتبين معناه إلا بما يتصل به من الكلام ولا يُتَصور إلا بالنسبة إلى موصوف آخر متأخر عن الموصوف ب«أول» في حالة ما[3].

قال الفرزدق:

. . . . . ومهلهل الشعراء ذاك الأول[4]

يفيد أن مهلهلاً سابق غيره من الشعراء في الشعر.

وقوله تعالى: ﴿قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَسۡلَمَۖ﴾[5]، أي أولهم في اتباع الإسلام. وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦۖ﴾[6]، أي أولهم كفراً. وقوله تعالى: ﴿وَقَالَتۡ أُولَىٰهُمۡ لِأُخۡرَىٰهُمۡ﴾[7]، أي أولاهم في الدخول إلى النار[8].

وأشهر معاني الأولية: هو السبق في الوجود أي: ضد العدم، ألا ترى أن

(1) **المصباح المنير**، ص20-21.
(2) سورة الحديد، من الآية: 3.
(3) **التحرير والتنوير للشيخ الطاهر بن عاشور**، ج27، ص360.
(4) **ديوان الفرزدق**، ص132.
(5) سورة الأنعام، من الآية: 14.
(6) سورة البقرة، من الآية: 41.
(7) سورة الأعراف، من الآية: 39.
(8) **التحرير والتنوير**، ج27، ص360.

جميع الأحوال التي سبق صاحبها غيرَه فيها هي وجوداتٌ من الكيفيات، فوصف الله بأنه الأول «معناه» أنه السابق وجوده على كل موجود وُجد أو سيوجد دون تخصيص جنس ولا نوع ولا صفة، ويرادف هذا الوصف في اصطلاح المتكلمين صفة القدم، وهذا الوصف يستلزم صفة الغني المطلق، وهي عدم الاحتياج إلى المخصص، أي مخصص يخصصه بالوجود بدلاً عن العدم؛ لأن الأول هنا معناه الموجود لذاته دون سبق عدم، وعدم الاحتياج إلى محل يقوم به قيامَ الجوهرِ بالعرض[1].

ويستلزم ذلك انفراده تعالى بصفة الموجود؛ لأنه لو كان غير الله واجباً وجوده لما كان الله موصوفاً بالأولية[2].

وقد جاء لفظ الأول في الحديث الشريف عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء...»[3].

وقد شاع استعمال لفظ أول عند الفلاسفة اليونان، فمن حيث هو مصطلح فلسفي استعمله أرسطو وأفلاطون، وقد أدخله المترجمون العرب لمؤلفات أرسطو في الفكر العربي مرادفاً بالعربية للكلمتين اليونانيتين (بروتوس) و(أرخاي) وعلى هذا، فإن كلمة «أول» لأرسطو تدل إمّا على الموجود الأول، أو المخلوق الأول[4] وكذلك نجد في رسائل إخوان الصفا أن القصد من مصطلح الأول: يدل على العلة الأولى الصادرة عن الله[5].

وكلمة «أول» يستعملها أيضاً المعتزلة، والكندي والفارابي، بيد أن ابن

(1) المرجع السابق، ج27، ص360.
(2) المرجع السابق، ج27، ص361.
(3) **صحيح مسلم**، المجلد السابع، ج17-18، ص154.
(4) **المعجم الفلسفي**، ج1، ص171.
(5) **رسائل إخوان الصفا**، ج4، ص14-18.

سينا هو الذي قعّد استعمالها في المصطلح الفلسفي، وأصبحت كلمة «أول» مألوفة عند أولئك المفكرين الشرقيين والغربيين العارفين بفكر ابن سينا على نحو مباشر أو غير مباشر[1].

ولها عدة معانٍ في اصطلاح الفلاسفة:

1 - الأول هو المتقدم بالزمان، وهو يدل على الأقدم في التعاقب الزماني وعلى المتقدم في ترتيب بعض الجمل مثل قولنا: العصر العباسي الأول.

2 - الأول هو المتقدم في المرتبة المنطقية، وهو كتقديم المبدأ على النتيجة، وتقدم البدهيات على النظريات[2].

3 - الأول من الناحية النفسية هو الذي يكون نقطة الابتداء الواقعية في تأليف الحكم أو الاستدلال أو في النمو التكويني أو التداعي.

4 - الأول من الناحية الوجودية أو الفلسفية وهو الذي يكون سبب وجود الشيء وعلته الغائية أو الفاعلة[3].

5 - الأول هو المتقدم بالشرف والقيمة، ويطلق الأول بالشرف على الأعلى والأهم والأمير، تقول: هذا عقل من الطراز الأول[4].

(1) **رسائل في آراء أهل المدينة الفاضلة**، ص17-18.
(2) **المعجم الفلسفي**، ج1، ص172.
(3) المرجع السابق، ج1، ص173.
(4) **تفسير ما بعد الطبيعة للفارابي**، ج2، 572.